الباب الثانى
الفقر فى أوروبا وحولها

• مقارنات دولية

• لقد أثيرت مناقشات عدة عن مشكلة الفقر، وقد تمت عليها معظم البحوث وأخذت مكانها فى النطاق القومى، وتخطت ذلك للمحيط الدولى حيث أصبحت مشكلة عالمية.

• يوجد عدم مساواة كبيرة فى توزيع المصادر المتاحة للبشر فى أجزاء مختلفة من دول العالم، ونتيجة لذلك يكون الحرمان وهو نسبى فى الدول الغنية، ويتباين هذا عند المقارنة مع باقى الدول.

• نحن نعيش فى عالم غير متساوٍ فى العمق، تقود فيه حالات الفقر الشديدة إلى المجاعة والفاقة، ومن ثم حالات الموت المبكرة.

• إن حالات الفقر الشديد والجور وعدم الإنصاف على مستوى العالم ليس ظاهرة جديدة، ولكن التطور المتزايد والاحتكاك مع وكالات التجارة الدولية جعلت بطريقة دائمة مشكلة وسطية أكبر للمجتمع الدولى.

• إن النظرة المتزايدة والثاقبة للاتصالات البيئية تأتى بمزيد من المعرفة عن المشكلة لداخل الأوطان وتزيد الوعى لدى مواطنيها. ولهذا فإن الفقر أضحى مشكلة عالمية بحيث جعل السياسيين والأكاديميين، يحققون وينقبون عن المشكلة بطريقة متزايدة (أمثال جورج ١٩٩٨م، وتاونستد ١٩٩٣، ١٩٩٥م).

• إن الاعتراف العالمى بأبعاد مشكلة الفقر ينبع من حصر المشكلة وتعريفها وتحليلها، مع تدعيم ذلك بالحجج والبراهين القومية وإجراء البحوث فى الدول موضع الدراسة مثل بريطانيا؛ مما يتعلق بطريقة تقييمه وإقامة الدلائل المساعدة والمتعارضة عليه بطريقة أكثر توازناً بين التعريف النظرى والقياسات التطبيقية.

• ونظراً لزيادة الاحتكاك الدولى والتعاون الدولى، فلم يكن من المحتمل فهم الفقر فى بريطانيا وجود بعضاً من الفهم له على المستوى الدولى، حيث يوجد حالات من عدم المساواة والحرمان فى بريطانيا، ومع وجود مبادرات دولية لوضع سياسة واستراتيجية لمكافحة الفقر بدأت فى التسعينيات، ومنها هذا الميثاق الدولى الذى يشمل الاتحاد الأوروبى، والتى تعد بريطانيا دولة كاملة العضوية به، حيث بدأت وجود مبادرات لدى دول الاتحاد الأوروبى لتحدى الفقر فى الدول الأعضاء به، وهى ذات ملامح معينة وصعوبات كثيرة واجتهتها واستجابات ومقارنات لها، تتعلق بتلك المشكلة بدرجة كبيرة.

• وفي بحث عن نسب الفقر في نطاق دول الاتحاد الأوروبي حدد «أتكنسون» (Atkinson) سنة ١٩٩٠م تلك المقارنات، التي يجب أن تأخذ في حساباتها للمشكلة بيانات المقارنة عبر الحدود القومية، مع استخدام الدراسات المسحية المستقلة أو الحكومية، التي يجب أن تستعمل بالضرورة قواعد التعريف والقياس نفسها في الدول المختلفة، مما يشكل مشكلة مثيرة لطرق ووسائل التحليل، والتي حددها العالم «أتكنسون» (Atkinson) في أربع نقاط رئيسية مرتبطة بها، وهي كما يلي :

(١) استعمال المؤشرات المختلفة للفقر.

(٢) تطبيق الخطوط المختلفة للفقر بالنسبة لتوزيع الدخل والتكاليف.

(٣) التبني للوحدات المختلفة، مثل العائلات أو الملاك عند وضع القياسات.

(٤) اختيار القياسات المتكافئة المختلفة لمقارنة المصادر المتاحة من خلال الوحدات المختلفة.

وهذه المشاكل للتحليل والمقارنة للبيانات لكل بلد تتطلب وقتاً في تحليلها والتعامل معها على المستوى القومي؛ حتى تحقق النجاح المنشود لتحليل البيانات عن الفقر بدقة على المستوى الدولي.

• الفقر في أوروبا

• على الرغم من وجود الاختلافات في الثقافة والسياسة، والتي غالباً ما تقسم أوروبا على مدى مايزيد عن مائة عام، فإن التنمية الاقتصادية والاجتماعية لغالبية دول أوروبا الغربية تتبع النمط الذي يمدها بالمقارنات الأكثر تقاربا وتعاوناً، أكثر مما هو موجود بين عديد من مجموعات الدول الأخرى على مستوى العالم.

• أكثر من هذا، فمنذ الاتصال الوثيق لمجموعة الدول الشرقية لأوروبا في أواخر الثمانينيات، فإن هذا النمط يعد بمثابة استيراد لبعض الأشكال والنماذج العديدة من دول شرق أوروبا على مدى العقد القادم، أو هكذا سيكون.

• إن النمو الرأسمالي والصناعي، والتطور للديمقراطية السياسية، وإقامة حالات الرفاهية والرخاء قد أفرزت تلك النماذج والأنماط في الدول الأوروبية تجاه الفقر وسياسته؛ مما يسهل معه عقد المقارنة بين الميول والإنجازات.

• إن التجانس النسبي للهياكل الاقتصادية والاجتماعية لدول أوروبا الغربية قد أظهرت تضافراً له اعتباره، منذ نهاية الحرب العالمية الثانية عن طريق الوحدة الاقتصادية والاجتماعية الأوروبية، والتي تم دعمها بخلق وتطوير الاتحاد الأوروبي.

• ففي البداية غطى الاتحاد ست دول هي (فرنسا ـ إيطاليا ـ ألمانيا الغربية ـ بلجيكا ـ هولندا ـ لوكسمبورج) كمجتمع اقتصادي أوروبي، كما تم تسميته في

هذا الوقت؛ حيث امتد فيما بعد ليغطى ١٥ دولة تقع أغلبها فى دول أوروبا الغربية، ثم انتقلت نفسها فى تشكل اتحاد سياسى واقتصادى متين سمى بالاتحاد الأوروبى.

● وفى هذا الاتحاد الأوروبى الذى امتد ليرسخ دعائمه وعلاقة الجوار الاقتصادى والتجارى بطريقة أكثر ثباتاً؛ لتصبح بعد ذلك كمركز للتخطيط الاقتصادى والاجتماعى المشترك عبر هالة وضاءة متسعة من التقدم المالى والرفاهية، وهى تسعى قدماً تجاه الوحدة الاجتماعية والسياسية؛ مما يسهل تحقيقها على مدى هذا القرن (أبحاث هانتراس (Hantrais) سنة ١٩٩٥م).

● ولهذا ففى دول الاتحاد الأوروبى بصفة خاصة، فإنه من الممكن تشخيص المشاكل العامة للفقر، وعدم المساواة، والاستراتيجيات العامة للاستجابة لها، وهذه يمكن مقارنتها مع دول العالم المختلفة مع بعض الدرجات المكملة والمساعدة، فإن كل دول العالم لها زخم ورصيد هائل من الخبرة فى التصنيع وخلق أسواق العمل.

● على الرغم من أنه فى بعض الدول الأخرى، يبقى حجم القطاع الزراعى كجزء من الاقتصاد فى المقارنة بدرجة كبيرة مع الدول الأخرى، وهذه الحالة تكون ناتجة عن الأنماط المشابهة لما هو عليه الحال فى بريطانيا من ناحية الأجور المستحقة عن الفقر، وكذلك حالة الفقر الناتج عن البطالة، وأيضاً وجود هياكل عائلية مشابهة، يتزامن فيها هذا الفقر مع الخبرات المختلفة للرجال والنساء، والمراحل المختلفة خلال دورة حياتهم.

● إن المقارنات الإحصائية بين الدول المتعلقة بنماذج الفقر المتشابهة، وهذا الامتداد والعمق يختلف كثيراً، حيث إن مشروعات التنمية والرفاهية فى كل دول أوروبا الغربية تكون ناتجة أيضاً عن نطاق من السياسات المتماثلة لمنع أو تخفيف ويلات الفقر كوسائل مليئة بالمتشابهات والمتناقضات فى الهيكل الاقتصادى؛ بحيث يتحقق الرخاء والرفاهية لدول العالم المختلفة (أبحاث «أسبينج أندرسون» سنة ١٩٩٠م).

● وترسيماً لهذا فقد قدام العالم «ليبفريد» (Leibfried) سنة ١٩٩٣ بتشخيص هوية أربعة نماذج تعمل على تحقيق الرفاهية من خلال دول أوروبا الغربية، هى مايلى:

(١) المجموعة الكاثولوكية الدولية لمجموعة دول أمريكا اللاتينية.

(٢) مؤسسة المساعدات الدولية التابعة لهيئة بسمارك فى ألمانيا.

(٣) المؤسسات الليبرالية فى بريطانيا.

(٤) المؤسسات الاجتماعية الديمقراطية الحديثة للدول الإسكندنافية.

- وفى الشكل التالى تتبين المقارنات لحالات الفقر بناء على المعلومات المتوافرة سنة ١٩٨٥، حيث إن تجميع الإحصائيات الدولية تتقدم ببطء شديد، وهذا الشكل يغطى ١٢ عضواً من الدول الأعضاء فى دول الاتحاد الأوروبى، تكون متصلة بدرجة كبيرة بحياة الفقير فى الدول مثل (إيطاليا ـ إسبانيا ـ اليونان)، وبنسبة أصغر فى (ألمانيا ـ وفرنسا ـ وبريطانيا).
- ولهذا فإن خط الفقر فى دول الاتحاد الأوروبى يصل إلى ٥٠٪ من المتوسط العام للداخل يكون مكافئاً لنسبة ٢ / ٣ متوسط الدخل القومى فى دول مثل إسبانيا (أبحاث «أتكنسون» ١٩٩٠م).

وإذا كان فى ألمانيا المتوسط القومى للدخل يطبق فى إسبانيا فسيخلق ذلك خطوطاً أعلى من الخط السابق لألمانيا، مع أن الغالبية العظمى للناس فى إسبانيا بالنسبة لحالة الفقر لديهم تتطابق مع مستويات الحياة فى ألمانيا.

- وتتضح تلك المقارنات والقياسات النسبية فى دول الاتحاد الأوروبى، وتغيرات الفقر فى أوروبا التى تشكل تكوين وكيان الفقير، والانخفاض النسبى للأفراد كبار السن، وزيادة البطالة (خاصة البطالة طويلة الأجل)، والآباء كأفراد فى المجتمع، والعمال المهاجرين.
- حيث توجد أنماط متشابهة للتغيرات فى تكوين الفقير فى بريطانيا، مما يقود لمزيد من الاتصالات الأوروبية لعمل دراسات كثيرة عن «الفقر الجديد»، ودورة الحياة، والخبرات فى الفقر.

(توزيع الفقر في أوروبا ١٩٨٥)
The distribution of poverty in Europe 1985

(أ) التوزيع باستعمال خطوط الفقر القومي
(a) The distribution using national poverty lines

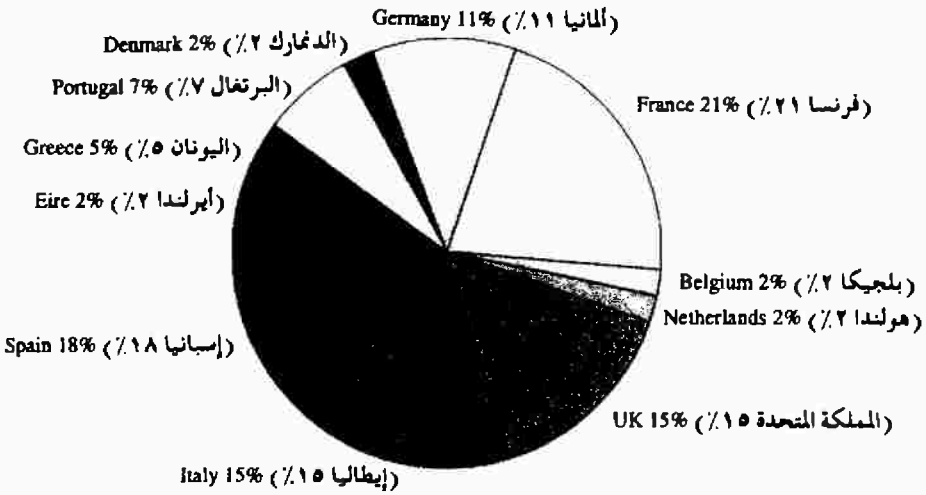

(ب) توزيع الفقر باستعمال الخطوط الواسعة للمجتمع
(b) The distribution using community- wide poverty lines

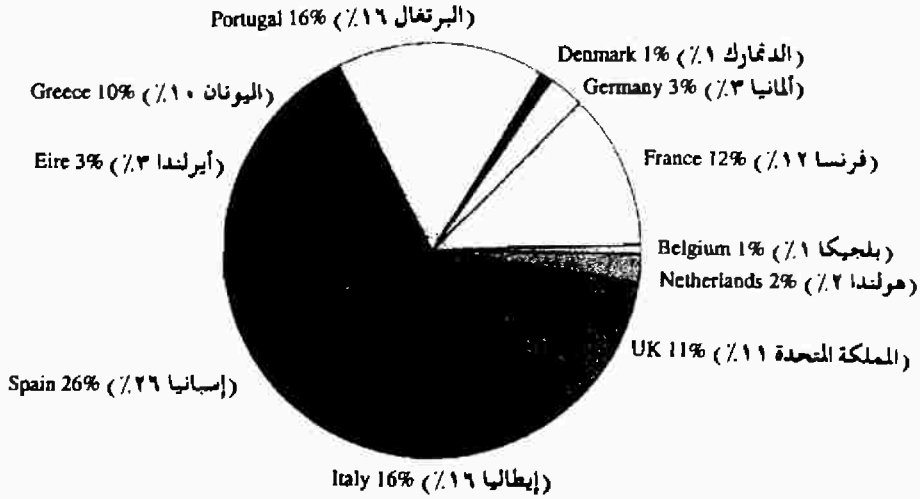

Note : Luxembourg is not shown separately. (لوكسمبورج لم تظهر منفصلة)

Source : Atkinson, 1991 (المصدر : أتكنسون ١٩٩١م)